الرّحمة المهنية
بين
المنظور الشّرعي والقانون الوضعي

إعداد:
المهندس الدولة: نسيم بوعافية.
إمام خطيب بمسجد عقبة بن نافع
تاراست – الجزائر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وسع كل شيء برحمته، وعم كل حي بنعمته، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد ﷺ الرحمة المهداة، والنعمة المُسداة، وعلى آله وصحبه أجمعين:

لقد منّ الله في كتابه العزيز على قريش[1] بنعمتين، نعمة الإطعام التي تتحقق بالكسب، ونعمة الأمان التي تتحقق بالتراحم، فالكسب والتراحم مفهومان متلازمان لا تصلح الحياة إلا بهما، وضياع أحدهما سبب لضياع الآخر.

وحينما افتقد العامل الرحمة في وظيفته، أصبح يشعر وكأنه في غابة، فإما أن يَأكُلَ أو يُؤكَلَ، وترسخ في أذهان الكثيرين بأن مجال العمل الجماعي؛ إنما هو حلقة صراع مستمرة لأجل البقاء، هذه العقيدة التي صار العامل مرتهنًا بها ويستصحبها طوال فترة عمله، نتج عنها صراعٌ بين الرئيس والمرؤوس، وبين الزميل وزميله، في المسجد والجامعة، وفي المصنع والسوق، دون مراعاة للمستوى أو لقداسة مكان العمل، وانتشرت الفتن والوشاية، وبرزت أمراض نفسية، وأمراض جسدية لا حصر لها.

(١) سورة قريش: الاية ٤.

كل هذا يستلزم شرعًا وعقلًا، ضرورة وجود قيم، وضوابط دينية، وتوصيات ومعاهدات بشرية؛ تسعى إلى الحد من الصراع، وضبط الحقوق والواجبات بين مجموع الأفراد، تهدف إلى تقديم الخدمة المطلوبة وفق أجر مكافئ، في ظل شروط ملائمة تعمها الرحمة والمودة؛ وهنا يبرز منهجان في التعامل مع كل ما سبق ذكره، المنهج الشرعي الذي يعتمد على التعاليم الربانية، والمنهج البشري الذي يعتمد على العقل والتجربة، فما مدى إمكانية تحقيق الرحمة المهنية بين النّاس من خلال كلا المنهجين؟ وما ميزة وثمرة كل منهما؟ وما هي أهم الفروق بين المنهجين؟.

هذا ما سأبينه من خلال هذا البحث؛ الذي يعتمد على المقارنة بين المنظور الشرعي والمنهاج البشري؛ فأبدأ بتعريف الرّحمة المهنية، ثم باستخراج نماذج منها، من القرآن، والسنة، والفقه الإسلامي، وكذا القانون الوضعي، لأخلص في النهاية إلى النتائج، من خلال مقارنة المنظور الشرعي، والقانون الوضعي، في مراعاتهما للرحمة المهنية؛ وفق الخطة التالية:

مقدمة

المبحث الأول: التعريف بالرّحمة المهنية وخصائصها.

المطلب الأول: تعريف الرّحمة المهنية.

المطب الثاني: خصائص الرّحمة المهنية.

المطلب الثالث: آثار غياب الرحمة المهنية في ميدان العمل.

المبحث الثاني: نماذج من الرّحمة المهنية في الشريعة والقوانين الوضعية.

المطلب الأول: نماذج الرّحمة المهنية في القرآن والسنّة.

المطلب الثاني: نماذج الرّحمة المهنية في الفقه لإسلامي.

المطلب الثالث: نماذج الرّحمة المهنية من خلال القوانين الوضعية.

المبحث الثالث: المقارنة بين التنزيل الشرعي والقانون الوضعي، في مراعاتهما للرحمة المهنية.

المطلب الأول: مزاعم باطلة للقانون الوضعي، تتخفى تحت مفهوم الرّحمة المهنية.

المطلب الثاني: الفرق بين التنزيل الشرعي، والقانون الوضعي، في تحقيق الرّحمة المهنية.

نتائج وتوصيات.

ولا بد من التأكيد، على أن الغرض من هذا البحث، ليس التعرض للحقوق والواجبات الخاصة بالعامل ورب العمل أو بالأجير والمستأجر؛ فهذا الجانب قد اعتني به الفقهاء، وبسطوا فيه الكلام بما يندُر أن تجده في تشريع غير تشريع الإسلام، ولكن الغرض هو التطرق لمعنى أدق وأعمق؛ وهو التراحم بمعناه الشامل والعام في مجال العمل والكسب.

فموضوع الرحمة المهنية، لم يُفرد ببحث أو تأليف فيما قرأت، ولم أجد كلاما حوله، إلا ما كان منثورًا في طيات كتب أهل العلم من الفقهاء، الذين تكلموا في بعض أسرار الشريعة كالإمام القرافي، أو ما كان يحتوي على بعض المباحث فقط، التي لها صلة بالموضوع؛ ككتاب الرحمة في حياة الرسول[1]، ومقال الرحمة في المجتمعات الغربية المعاصرة[2]، وبحث حول حقوق العمال في القانون الدولي[3]، وبعض البحوث حول الرحمة في الاقتصاد الإسلامي.

(١) لصاحبه د/ راغب السرجاني وهو البحث الحائز على جائزة المركز الأول بالمناصفة في مسابقة العالمية لمعالي السيد: حسن عباس شربتلي للتعريف بنبي الرحمة ﷺ عام ١٤٢٨هـ.

(٢) الرحمة في المجتمعات الغربية المعاصرة: أسامة أمين: مجلة المعرفة، العدد ١٨٥، تاريخ ١٤٣١/٨/١٩ الموافق لـ ٢٠١٠/٠٧/٣١.

(٣) حول حقوق العمال في القانون الدولي: كمال سيد قادر، مجلة الحوار المتمدن، العدد: ١١٨٤ - ٢٠٠٥/٥/١.

وأما الرحمة المهنية في مجال التشريع الوضعي فهي غائبة تمامًا لفظًا ومعنى، مما اضطرني إلى تتبع التشريعات الوضعية العامة التي تسعى إلى تحقيق العدالة، ومحاولة استخلاص ما فيها من معاني متعلقة ببحثي ونقدها من الناحية الشرعية المهنية.

المبحث الأول
التعريف بالرحمة المهنية وخصائصها

المطلب الأول
تعريف الرحمة المهنية

إن مصطلح الرحمة المهنية يُعرف باعتبارين؛ باعتبار مفرديها أي: كلمة الرحمة، وكلمة المهنية؛ ثم باعتبار المعنى المركب للفظة وهو الرحمة المهنية.

تعريف الرَّحْمَة:

الرَّحْمَة لغةً:

الرحمة: من رحمة يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رقّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا. والرحمة: المغفرة.ورحمة الله: عطفه، وإحسانه، ورزقه ومنها.

الرّحِم: وهي عَلاقة القرابة، وقد تطلق الرَّحْمَة، ويراد بها ما تقع به الرَّحْمَة، كإطلاق الرَّحْمَة على الرِّزق والغيث[1].

(١) انظر: مادة (رحم) «لسان العرب» لابن منظور، (ج ٦، ص ١٢٥). والصحاح: للجوهري (ج ٥، ص١٩٢٩)، ومقاييس اللغة: لابن فارس (ج ٢، ص ٤٩٨).

الرَّحْمَة اصطلاحًا:

الرَّحْمَة رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُوم، وقد تستعمل تارةً في الرِّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرِّقّة[1]، وقيل: هي رِقّة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه[2].

وقال الجاحظ: الرّحمة خلق مركّب من الودّ والجزع، والرّحمة لا تكون إلّا لمن تظهر منه لراحمه خلّة مكروهة، فالرّحمة هي محبّة للمرحوم مع جزع من الحال الّتي من أجلها رحم[3].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية؛ فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك"[4].

وعليه فالرّحمة هي: باعث نفسي، نتيجة الحب والرأفة والحنان، يقتضي تحقيق مصلحة، أو دفع مضرة عن الغير ولو شق عليه ذلك؛ كرحمة الأب بالابن حال تأديبه، ورحمة الأستاذ بطلابه حال تعليمهم، ورحمة الطبيب بالمريض حال علاجه، وكلٌ قد يستعمل الغلظة والقسوة في ظاهر أمره، ولكنها بدافع الشفقة والرأفة، وقد قالوا: قد يقسو الحبيب على من يحب.

تعريف المهنة:

المهنة لغة:

الْمَهْنَةُ وَالْمِهْنَةُ وَالْمَهَنَةُ وَالْمَهِنَةُ؛ كُلُّهُ: الحِذْق بالخدمة والعمل ونحوه،

(١) مفردات القرآن: للراغب (ج ١، ص ٣٤٧).
(٢) التحرير والتنوير: لابن عاشور (ج ٢٧، ص٢٤).
(٣) تهذيب الاخلاق: للجاحظ (ص ٢٤).
(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم (٢ج، ص ١٧٤).

وأَنكر الأَصمعي الكسر. وفي الحديث: «ما على أَحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعته سوى ثوبَيْ مَهْنَته»[1]؛ قال ابن الأَثير: أَي: بِذْلَته وخِدْمته، والرواية بفتح الميم، وامتَهَنه: استعمله للمِهْنَة. وفي حديث ابن المُسَيَّب: «السَّهْلُ يُوطَأُ ويُمْتَهَنُ»[2] أَي: يداس ويبتذل، من المِهْنة الخِدْمة[3].

المهنة اصطلاحًا:

مجموعة من الأعمال، تتطلب مهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية.[4]

فهي وظيفة مبنية على أساس من العلم و الخبرة، اختيرت اختياراً مناسباً، حسب مجال العمل الخاص بها، و تتطلب مهارات وتخصصات معينة، كما تحكمها قوانين وآداب لتنظيم العمل[5].

وقد يُطلق على المهنة لفظ: العمل والوظيفة والخدمة وغيرها.

ومما اشترطه البعض في المهنة، توافر الأنشطة والخدمات المفيدة، ووجود قواعد أخلاقية، وسلوكية تحكم وتنظم العمل بين أفراد المهنيين وزملائهم، وكذا وجود تجمع للعاملين بالمهنة يتحدث باسمها ويدافع عنها.[6]

تعريف الرّحمة المهنية: هي رقة وإحسان زائد عن مجرد تحصيل الحقوق والإلزام بأداء الواجبات، لا ينص عليها عقد ولا يُلزم بها بند،

(١) مصنف عبدالرزاق: (ج٣، ص ٢٠٣) (كتاب الجمعة/باب اللبوس يوم الجمعة) (٥٣٢٩) وصحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني (٥٦٣٥).
(٢) سنن أبي داود: (ج ٤، ص ٢٨٩) (كتاب الأدب/ باب في تغيير الاسم القبيح) (٤٩٥٦)، الصحيحة: الألبانى: (٢١٤).
(٣) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) مادة (مهن) (ج ١٤، ص ١٤٥).
(٤) دليل أخلاقيات المهنة: برنامج الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز لتأهيل وتوظيف الشباب السعودي (ص١١).
(٥) مساهمو ويكيبيديا الناشر: ويكيبيديا تاريخ آخر مراجعة: ٢٦ يوليو رقم نسخة الصفحة: ١٦٤٥٠٥٨٦.
(٦) المرجع نفسه.

دافعها الشعور بالرأفة، والعطف على الآخرين داخل الوسط المهني وخارجه؛ هذا الشعور الذي قد يظهر على شكل الحرص على منفعتهم، ومساعدتهم على ما يخدم مصالحهم[1].

انطلاقًا من تعريفنا للرحمة المهنية، نجد أن المعنى لا يبعد كثيرًا عن التعريف العام للرحمة لغة واصطلاحًا، إلا أنّه أخصّ، بحكم أنّه مقصور على مجال محدد، وهو مجال العمل والتعاون على إنتاج خدمة معينة؛ مادية كالمؤسسات الإنتاجية التي تقدم منتوجًا ماديًا للمستهلك، أو معنوية كالعمل في التعليم والتوجيه المسجدي، أو التدريس، أو القضاء، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتطبيب وغيرها.

المطب الثاني
خصائص الرّحمة المهنية

تمتاز الرّحمة المهنية بـ:

أولًا: ما يميز الرّحمة المهنية أنها غير مُلزِمة؛ بمعنى أنها لا تتعلق بأداء واجب، يترتب على تركه إثم أو عقاب، ولذا نجد أن فقهاءنا كثيرًا ما يُدرجون بعضًا من معانيها في كتب الفقه، تحت حكم الندب أو الاستحباب.

ثانيًا: الرحمة المهنية دافعها شعور إنساني فطري، حتى لا تنحصر في المسلمين، أو عند أصحاب الديانات فقط، وحتى لا يقول قائل: بأنه لا ينبغي أن تكون مجالًا للتشريعات البشرية.

ثالثًا: ما يميز الرّحمة المهنية أنها لا تنضبط بوصف ظاهر يُحاسب

(١) وهو تعريف اجتهدت في وضع حده بما يتوافق ومفهوم الرحمة لغة واصطلاحًا.

على وفقه النّاس، إلا من خلال الثمرة النهائية التي تتجسد كممارسة ميدانية في الواقع؛ فهي معنى قلبي لا يمكن حصره أو ضبطه.

رابعًا: الرّحمة المهنية شاملة وعامة.

- فأما شمولها، فيبرز من خلال كونها تشمل وضع أي فرد تابع للمؤسسة، سواء كان قادرًا على الكسب أو عاجزًا عنه، وسواء كان شابا معطاء أو شيخًا طاعنًا في السّن، أو مقعدا بسبب مرض أو حادث عمل، وسواء كان في بحبوحة من العيش أو في ملمة من ملمات الحياة، فتُراعى الأخوة في الدّين والزّمالة في العمل قبل كل شيء.
- وتشمل كذلك نوعية الخدمة المقدمة، والتفاني في تحقيق المقدور عليه، بتحسينها والإبداع فيها، ولو لم يكن ذلك ضمن بنود الاتفاق، أو مقتضيات العقد.
- وأما كونها عامة؛ فهو أن لا تنحصر فقط في العامل باعتباره أضعف حلقة في سلسلة الإنتاج، أو بين العامل وزميله في المهنة، ولكن تشمل الرئيس والمرؤوس بشكل متبادل، على خلاف ما هو شائع بين النّاس من أن الأقل رتبة في عداء دائم لمن هو أعلى رتبة منه، وأن المسؤول الأول دائمًا منبوذ من طرف الخدم، باعتباره المستفيد الأكبر من عمل المجموعة، فلا شفقة ولا رحمة وإنما حقوق ووجبات لا غير.

وهي عامة كذلك في مراعاة أقارب الأفراد المهنيين جميعًا، من أولاد وأزواج وأمهات وآباء، وتتوسع الرحمة المهنية حتى تعم الرحمة بالمستهلك ومراعاة ظروفه، وتصل بركاتها حتى المؤسسات المنافسة، باعتبار أن أصحابها بشرًا يتأثرون بما نتأثر به، ويسعدون بما نسعد به، كما يحزنون مما نحزن منه، لأنهم مفطورون على جلب الخير لأنفسهم، والسعي في تحقيق مصالحهم، وقد كان التاجر المسلم من

سلفنا الصالح حينما يأتيه مشترٍ ويرى أن أخاه البائع بجواره لم يبع شيئًا، يدله عليه ليشتري من عنده، مع أنه يتاجر في نفس البضاعة.

فتكون الرّحمة المهنية بهذا المعنى الشامل والعام؛ في البيت وفي المؤسسة التعليمية، وفي المؤسسة الإنتاجية، وفي المسجد والسوق، وفي كل تجمع يهدف إلى تحقيق خدمة معينة.

المطلب الثالث
آثار غياب الرحمة المهنية في ميدان العمل

بسبب التصور المغلوط للعمل الذي صار يقوم على الصراع والتصادم، وليس على التعاون والتراحم، ظهرت أمراض نفسية، نتج عنها الكثير من الأمراض الجسدية؛ كارتفاع الضغط والسكري والاضطراب والقلق وغيرها، وأخرى قلبية، أدت في كثير من الأحيان إلى العديد من المخالفات الشرعية، فردية كانت أو جماعية.

فعلى مستوى الأفراد انتشرت الغيبة والنميمة، وكذا المكايد والوشاية، وعمت الأحقاد والفتن بين أعضاء الفريق الواحد في العمل، مما أدى إلى ضعف المردود، ونفور الطاقات، واختلال المعايير في الترقية، وإعطاء الامتيازات، التي كان من المفروض أن تراعي الإخلاص والكفاءة في المستوى؛ حتى صار العامل يعيش ضغطًا نفسيًا رهيبًا، وصراعًا مستمرًا، في وسطٍ قد يستغرق من وقته أكثر مما يكون في بيته.

وأما على المستوى الجماعي، فلم تُراعى قداسة المكان ولا الزمان[1]، فنتج ضياعًا في القيم، وانحدارًا في المستوى الأخلاقي والمهني، ومحاولات

(١) ومثاله: الصراع في المساجد، والغلاء المفرط في الاسعار في المواسم الدينية كرمضان والأعياد.

لاستغلال البشر في مقابل تحقيق أكبر ربح بأقل كلفة، وغابت الرحمة في التعامل بين الناس، سواء كانوا عاملين أو مستهلكين أو منافسين، وأصبحت الغاية تحقيق المصلحة الخاصة، ولو أدى ذلك إلى أذية الآخرين وظلمهم؛ كما يحدث في كثير من الأحيان عند تقرير الإضرابات من طرف النقابات العمالية؛ التي لا تُراعى فيها الضوابط الشرعية، ولا الضرر، الذي قد يحصل للغير، سواء كان رب العمل أو غيره، لأن الغاية هي أن تتحقق المطالب وبأي ثمن!.

بل وصل الحد ببعض المؤسسات الكبرى، إلى إتلاف منتوجها لا لشيء؛ سوى للحفاظ على التوازن بين العرض والطلب، وحتى تبقى قيمة المنتوج في السوق على ما هي عليه أو تزيد.

هذه الظواهر المرَضية التي طغى عليها (الأنا) الفردي، أو الجماعي داخل الوسط المهني، تتنافى مع مفهوم الرحمة الذي يجب أن يكون أساسًا ومعيارًا في التعامل بين الناس جميعا، لأنه أساس تعامل رب البشر مع البشر، قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».[1]

(١) رواه الترميذي عن عبدالله بن عمرو (ج ٤، ص ٢٨٤) (١٩٢٤) وقال عنه: حديث حسن صحيح؛ كما صححه الحاكم (ج٤، ص١٥٩). (٧٣٣٩) ووافقه الذهبي وصححه الألباني السلسلة الصحيحة» (ج٢، ص ٧٣٠).

المبحث الثاني
نماذج من الرحمة المهنية في الشريعة والقوانين الوضعية

المطلب الأول
نماذج الرّحمة المهنية في القرآن والسنّة

إن المتأمل في القرآن والسنة، يجد نماذج لا حصر لها في إبراز معاني الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، لتحقيق المودة والألفة بين بني البشر، والتي تندرج تحتها الرّحمة المهنية، ولن أسرد في بحثي هذا من الأدلة الدّالة على الرحمة ما كان عامًا أو مجملًا فهو كثير في دين الله، ولكن سأجتهد أن أبين نماذج من رحمة خاصة، وهي التي لها متعلق بالعمل، المهن، الخدمة والإجارة.

وابدأ بما يستدل به الفقهاء لما يتكلمون عن حكم الإجارة[1] من القرآن، وجواز تسخير الناس بعضهم لبعض في المهن والأعمال، في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف]، فالمتأمل في الآية يلحظ كيف أن الله جعل حكم مشروعية الإجارة[2]

(١) اتفق الفقهاء على مشروعية الإجارة إلا مَن شذَّ مثل: أبي بكر الأصم، والحسن البصري، وغيرهما انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (ج٤، ص١٧٣)؛ المغني (ج ٥، ص٣٩٨).

(٢) واقصد قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قال الطبري يَقُول: لِيَسْتَسْخِرَ هَذَا، هَذَا فِي خِدْمَته إِيَّاهُ، وَفِي عَوْد هَذَا عَلَى هَذَا بِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ فَضْل، انظر: تفسير الطبري (ج ٢٠، ص٥٨٥).

بين قوله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ في بداية الآية، وبين قوله: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ في آخر الآية؛ فجعل حكم الإجارة بين رحمتين، وكأن الله عز وجل يلفت انتباهنا إلى معنى أساس يقوم عليه تسخير العباد، وهو الرحمة التي لأجلها خلقنا ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود:١١٩].

النموذج الأول:

رحمة رب العمل بالعامل ورحمة العامل برب العمل:

إن في قصة موسى مع الخضر التي ذكرها الله تعالى في سورة الكهف، لنموذج رائع لفريق العمل المتكامل الذي تبرز فيه معان، تتدرج جميعها في مفهوم الرحمة، من رقة وعطف وإحسان وإيصال للخير في قالب قد يصعب على صاحبه، لاعتقاده أنه شر له، وهذا بين العاملين فيما بينهم وبين رب العمل والعامل، باعتبار أن موسى سيد على الغلام فهو خادم له، وباعتبار آخر وهو أن مصاحبة موسى للخضر كمصاحبة طالب العلم لمعلمه، وهي في زمننا تمثل عقد عمل وبند اتفاق على خدمة معينة وهي التعليم.

فالخضر عبد آتاه الله علمًا ورحمة، وقدم الله الرحمة في وصف مزاياه على العلم قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف]، وجعل وظيفته الأساسية مع موسى هي التعليم قال الله في كتابه الكريم: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف] والخضر مع هذا مهني متعدد المواهب رحيم القلب، فهو أستاذ معلم، وبناء ماهر، ورجل ذو نظرة ثاقبة، ونظر حاد إلى المستقبل بما أتاه الله من فضله.

ومن هنا نستخلص بعضًا من معالم الرحمة في التعامل بين الرئيس والمرؤوس، وبين رب العمل والخدم، وهي ليست من الواجب الذي يحرم

تركه، أو من الحرام الذي لا يجوز فعله، بل كلها معان أوسع وأعم من ذلك، وهي كما يلي:

١. مناداة الخدم والعمال بأحب الألفاظ وألطفها: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف]، فعبر بلفظ الفتى عن الخادم الذي يرافق موسى؛ وهو لفظ ينبئ بتلطف ورفق، وفي هذا يقول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي»[(١)].

بل إن الرسول ﷺ يصف العبد بكونه أخًا، وكأنه يريد أن يجعل من العلاقة بين الأجير والمستأجر، علاقة أخوة إيمانية، تذوب معها كل الفوارق الاجتماعية، وليست مجرد رابطة لمصلحة آنية، فيقول ﷺ: «إخوانكم خَوَلُكُم[(٢)]، جعلهم الله تحت أيديكم»[(٣)].

٢. مشاركة الخدم في المأكل والملبس: عبر الله عز وجل عن خطاب موسى لغلامه قائلًا: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف] واستعمال ضمير الجمع هنا في قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ يوحي بأن الغذاء واحد، وأنه سيأكل مع غلامه على نفس الخوان، ومن نفس الطعام، قال الإمام السعدي وهو في صدد ذكر الفوائد المستنبطة من قصة الخضر وموسى عليهما السلام «منها: استحباب

(١) رواه مسلم: (ج٤، ص ١٧٦٤) (كتاب الألفاظ/باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد) (٢٢٤٩).

(٢) قال القاضي عياض في مشارق الأنوار: خَوَلكم بفتح الواو أي خدمكم وعبيدكم الذين يتخولون أموركم، أي: يصلحونها، ويتخولونهم أي: يسخرونهم.

(٣) البخاري عن أبي ذرّ: (ج ١، ص ٢٠) (كتاب الإيمان/ باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك) (٣٠)، ومسلم: (ج ٣، ص ١٢٨٣) (كتاب الأيمان والنذور/ باب إطعام المملوك مما يأكل) (١٦٦١).

إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعًا، لأن ظاهر قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو، وهو جميعًا»[1]، ويدل على هذا المعنى قول النبي ﷺ: «مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارَ بِالأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ فَحَلَبَهَا»[2]، وقد كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه من أشد الناس امتثالًا لهذا الخصلة في التواضع للخدم، ومشاركتهم المأكل والملبس، فعن المعرور بن سويد قال: «لقيت أبا ذر بالربذة[3]، وعليه حُلَّة وعلى غلامه حُلة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابببت رجلاً، فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خَوَلُكُم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»»[4].

٣. الإحساس بمعاناة الخدم، ومساعدتهم إن اقتضت الضرورة ذلك، وعدم تكليفهم فوق طاقتهم: نلْمح هذا من إقرار موسى بالتعب والنصب له ولخادمه، على خلاف من يكلف خادمه فوق طاقته، ولا يُسمعه كلمة شكر، أو اعتراف بالجميل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف] وفي مثل هذا يقول النبي ﷺ: «فإن كلفتموهم فأعينوهم»[5] ويقول ﷺ: «مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ، كَانَ لَكَ أَجْرًا فِي مَوَازِينِكَ»[6]

(١) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ج ١، ص ٤٨٢).
(٢) الأدب المفرد للبخاري (ج ٢، ص٣٢١)، وقال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع (٥٥٢٧).
(٣) بالراء والموحدة والذال المهملة، وبالتحريك: وهي فلاة بأطرف الحجاز مما يلي نجدًا، أورد ياقوت في معجم البلدان: أن الربذة خربت سنة ٣١٩ هـ.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) الحديث نفسه.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير (ج٩، ص ٣٩٠) (٧٨٧٩) قال الهيثمي: وعمرو هذا قال ابن معين: لم ير النبي ﷺ فإن كان كذلك فالحديث مرسل ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٤٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٣١٤) وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات.

والتخفيف قد يكون ماديًا أو معنويًا، فكم من كلمة شكر قد تخفف أثقالًا من الأسى والتعب.

٤. العفو والصفح عنه إن بدر منه زلل أو تقصير: إن الخادم أو العامل قد يقع منه سهو أو تقصير، لأنه بشر ويعتريه ما يعتري البشر من إقبال وإدبار، ولرب العمل الحق في أن يتخذ الإجراء الردعي المناسب، إن التمس تقصيرًا أو تفريطًا أدى إلى تسيب، ولكن من باب الرحمة أن يعفو ويعطي الفرصة تلوى الآخرى رجاء التقويم؛ لأنه بمثابة الأخ الذي يبحث على مصلحة أخيه، وهذا ما تجلى في معاملة موسى لفتاه، لما اخبره بأن العلامة التي جعلها الله له كدليل على وجود الخضر قد ضاعت، وأنه نسي أن يخبره بها؛ فلم يعاتبه ولم يؤنبه ولم يعنفه، بل صفح عنه واعتذر له قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف]

وهكذا كان حال الرسول ﷺ مع خدمه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت وهي تصف حال النبي مع خدمه: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قَطُّ بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله»(١).

بل إن النبي ﷺ قد نهى عن الدعاء على الخدم حفاظًا عليهم واحترامًا لمشاعرهم، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْعُوا على أنفسكم، ولا تَدْعُوا على أولادكم، ولا تَدْعُوا على خَدَمكم، ولا تَدْعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة يُسْأَلُ فيها عطاء فيستجيب لكم»(٢).

وقد كان النبي ﷺ ينكر إنكارًا شديدًا على من عنف خادمه بالضرب،

(١) رواه مسلم: (ج٤، ص ١٨١٤) (كتاب الفضائل/باب مباعدته ﷺ للآثام) (٢٣٢٨).
(٢) رواه أبو داود: (ج ٢، ص ٨٨) (كتاب الصلاة/ باب تفريع أبواب الوتر - باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله) (١٥٣٢) صححه الألباني.

فعن أبى مسعود الأنصاري ﷺ قال: «كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت مِنْ خلفي صوتًا: «اعلم أبا مسعود، لله أقدر عليك منك عليه» فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال ﷺ: «أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار»»[1].

ولم يجعل للعفو والصفح عن الخدم حدًا، وما ورد من حصر في حديث بن عمرو، فإنما هو إشارة للكثرة لا غير، فعن العباس بن جُلَيْدٍ الْحَجْرِيّ قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: كم نعفو عن الخادم؟، فصمت، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة قال: «اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة»»[2].

٥. إعطاء الفرصة لتصحيح الخطأ، وكسب الخبرات، وبذل النصح بين الطرفين: يتجلى ذلك في وصية الخضر لموسى بالصبر، عند بداية الرحلة، وأن ذلك أمر قد يستعصى عليه ويصعب ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف] حتى قرر الفراقه ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:٧٨].

٦. التصدق عليه وإكرامه: كان من حق الخضر أن يطلب أجرًا، نظير الخدمة التي يقدمها ويبذل جهدًا ووسعًا فيها وهي التعليم، ولكنه لم يفعل إكراما ورحمة على موسى؛ وقد يستدرك البعض فيقول: إنه فعل ذلك بأمر من الله، أو أن الخدمة دينية، فلا يجوز طلب الأجر عليها! ولكن معنى الاقتداء صار بارزًا جليًا في معاملة الخضر لأهل القرية،

(١) مسلم: (ج٣، ص١٢٨١) (كتاب الأيمان/ باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده) (١٦٥٩)، وأبو داود (ج ٤، ص٣٤١) (كتاب الأدب/أبواب النوم) (٥١٥٩).

(٢) رواه أبو داود: (ج٤، ص٣٤١) (كتاب الأدب أبواب النوم / باب في حق المملوك) (٥١٦٤) ورواه الترميذي (ج ٤، ص٢٩٧) (كتب البر والصلة عن رسول الله ﷺ/ باب ما جاء في العفو عن الخادم) (١٩٤٩) قال أبو عيسى: « هذا حديث حسن غريب».

وإصلاحه لجدار اليتيمين من غير أجر، بل قد عاملهم بالحسنة مقابل السيئة، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ [الكهف].

وترك الخضر أجرته يُعد تأليفًا للقلوب، وتحقيقًا لمصلحة أكبر؛ بل إن من صور الرحمة المهنية تقديم العطايا والهبات، في المناسبات والمسرات، والأفراح والأتراح، فقد جعل النبي ﷺ في ترتيبه لمراتب الإنفاق، النفقة على الخادم بعد الأهل مباشرة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال يومًا لأصحابه: «تصدقوا»، فقال رجل: يا رسول الله، عندي دينار. قال: «أنفقه على نفسك». قال: إن عندي آخر، قال: «أنفقه على زوجتك». قال: إن عندي آخر، قال: «أنفقه على ولدك». قال: إن عندي آخر. قال: «أنفقه على خادمك». قال: «إن عندي آخر». قال: «أنت أبصر».[1]

٧. مراعاة الحالة النفسية والاحتياج الفطري للأجير: إن العامل إذا أدرك قيمة أجرته، وأنها مضمونة مصونة، يتلقاها في أقرب أجل، وبأيسر السبل، كان ذلك حافزًا له للبذل ومطمئنًا له على العطاء، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[2]، وقد روى الإمام عبدالرزاق في مصنفه عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «من استأجر أجيرا فليسم له إجارته»، وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: «من استأجر أجيرًا فليعلمه أجره»[3].

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ج ٢، ص ٤١) (كتاب الزكاة/ باب الإعطاء للأقراب أعظم أجر) (١٥٥٤) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
(٢) ابن ماجه عن عبدالله بن عمر (ج٢، ص ٨١٧) (كتاب الرهون/ باب أجر الأجراء) (٢٤٤٣)، وقال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح (٢٩٨٧).
(٣) انظر: تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني (ج٣، ص١٣٢) (كتاب الإجارة) (١٣١٥) =

٨. الحرص على أداء الخدمة المتفق عليها، ولو حدث إخلال ببنود الاتفاق أو شروط العقد: لو حدث أن أحد المتعاقدين أخل ببند من البنود، أو بشرط من الشروط، كانت ضمن أصل العقد، فإن للطرف الآخر أن لا يتنازل على حقه المخول له شرعًا وقانونًا، فإن تنازل عن ذلك فهذا من باب الرحمة بالآخر؛ وهذا ما حدث حينما أخل موسى عليه السلام بشرطه مع الخضر، الذي صار من حقه أن يدعه بسبب عدم قدرته على الالتزام بالاتفاق، ومع هذا فإن نبل رسالة الخضر ورحمته بموسى، جعلته يبين له حكمة الله في كل موقف من المواقف التي اتخذها من قبلُ، قال تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨].

٩. مراعاة ظروف العامل، والسعي لتحقيق مصالحه في العاجل والآجل: إن رب العمل قد يعلم من حال العامل ما يجعله يسعى لخدمة مصلحته من باب الرحمة، والشفقة عليه، ومراعاة لظروفه؛ كأن يحافظ له على ماله لكونه سفيهًا، أو يسلمه لأحد أوليائه إن كان غير مؤهلٍ[1]، أو يدخر له من أنواع الخير ما يرى أن له فيه مصلحة آجلة أو عاجلة، وهذا لا يتأتى إلا إن علم حاله واطلع على بعض خصوصياته، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف] فالخضر يصف هؤلاء العمال بأنهم مساكين ومحتاجين، وإن كانوا يمارسون مهنة في الظاهر، فليس العمل من مستلزمات الغنى وعدم الاحتياج، قال ابن كثير: «واعلم أن الشافعي رحمه الله احتج بهذه الآية

= قال: وأخرجه إسحاق في مسنده، عن عبدالرزاق، وهو عند أحمد وأبي داود في المراسيل من وجه آخر، وهو عندالنسائي في المزارعة غير مرفوع.

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ابن رشد (ج٢، ص٢٨٣).

على أن حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين؛ لأنه تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة»[١]، وفي هذا دليل على اهتمامه لأمرهم واطلاعه على خفاياهم وظروفهم، وهذه من أهم القواعد في مراعاة مصالح الآخرين قال السعدي «منها: القاعدة الكبيرة أيضًا وهي أن عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير»[٢].

ثم إن في هذه الآية التفاتة؛ وهي أن الرحمة ليست دائمًا فيما يراه ويعتقده الإنسان من خير ظاهر؛ لذا فقد تقتضي الرحمة من رب العمل في بعض الأحيان القسوة في إيصال الخير للعامل، من خلال النظر إلى المآلات، كما سبق وأن ذكرنا في بعض تعاريف الرحمة؛ وهذا بارتكاب أخف الضررين وتفويت أدنى المصلحتين، لأن خرق السفينة رحمة بالعاملين، وإن كان ظاهر الفعل قسوة وظلم بهم.

١٠. المحافظة على وسائل الإنتاج: وهي من أعظم وسائل الرحمة التي تكون من العامل اتجاه من يقوم على تسخيره، لأن وسيلة الإنتاج هي وسيلة رزق للجميع، وهي أمانة قبل كل ذلك قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف] فهنا الخضر يفوت ضررًا أكبر بضرر أخف، والغاية من ذلك الحفاظ على وسيلة الإنتاج، ومن لطائف الفقهاء أن بعضهم أفتى بضرورة قص الأظافر لمن يحلب الشاة حفاظا على ضرعها ورحمة بها، لأنها في نظرهم وسيلة إنتاج من جهة، وحيوان يجب الإحسان إليه من جهة أخرى[٣].

(١) تفسير ابن كثير (ج ٥، ص ١٦٦).
(٢) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ج ١، ص ٤٨٢).
(٣) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: القرضاوي ص ١٠٦.

١١. تقديم خدمات إضافية على ما هو متفق عليه: من مظاهر الرحمة المهنية التي شملتها مواقف الخضر مع موسى في هذه الرحلة، توفير بعض الخدمات الغير منصوص عليها في العقد بما يخدم مصالح أحد الأطراف أو بعض الناس، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف]، وإن كان هذا الموقف من الخضر بإطلاع الله له رحمة باليتيمين، ولكن قد يعلم المستأجر من حال الأجير أو العكس ما يدعوه إلى الإتيان ببعض من أعمال الخير المتعلقة بمنصبه، أو مكانته، رحمة بالطرف الآخر وحفاظًا على مصلحته وإن لم ينتبه لها المعني بها، كما أنه قد يحدث من طوارئ الحياة ما يستلزم فعل ذلك؛ وفي حديث أحد الثلاثة الذين أُطبق عليهم الغار بيان لهذا المعنى «... فقال واحد منهم اللهم إن كُنْتَ تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فَـرَقٍ[1] من أرز فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسُقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة..»[2]، وعن حكيم بن حزام: «أن رسول الله ﷺ بعث معه بدينار يشتري له أضحية فاشتراها بدينار وباعها بدينارين، فرجع فاشترى له

(١) قال النووي قوله: فرق أرز) الفرق بفتح الراء وإسكانها لغتان، الفتح أجود وأشهر، وهو: إناء يسع ثلاثة آصع)، شرح النووي على مسلم الحديث رقم (٢٧٤٣).

(٢) اخرجه البخاري: (٢ ج، ص ٧٩٤)، (كتاب الإجارة/ باب باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل) (٣٤٦٥).

أضحية بدينار وجاء بدينار إلى النبي ﷺ فتصدق به النبي ﷺ ودعا له أن يبارك له في تجارته[1]»[2].

كانت هذه ملامح واستنباطات تندرج جميعها في معاني الرحمة المهنية؛ التي هي عمل تطوعي واندفاع سلوكي نتيجة عقيدة وبعد ديني يدعو إلى الإحسان بالآخرين والشفقة عليهم، سواء في التعليم أو التشييد والبناء أو التسيير والإدارة.

ومن دلالات الرحمة في هذه القصة أن الله عز وجل افتتح هذه الرحلة الطويلة بوصف الخضر بالرحمة قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢]، ولما أنهى ذو القرنين إنجاز السد أعلمهم بان هذا من رحمة الله، قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف] فأضاف صفة الرحمة إليه عز وجل، وكأنها إشارة إلى اقتران الرحمة بأنواعها مع الإنجازات المهنية والأعمال الخيرية.

النموذج الثاني:

الرحمة بالزوجة العاملة في البيت: الزوجة في الإسلام ليست موظفًا متعدد الخدمات كما يعتقده الكثيرون، بل إن خدمتها لزوجها وأهله، كما هو معمول به في أكثر المجتمعات الإسلامية، تفضل وإحسان منها على الصحيح من أقوال أهل العلم، وليس بلازم أو واجب[3]؛ وإن كان مراعاة العرف في خدمة زوجها وفي أعمال البيت التي جرت العادة بقيام الزوجة بمثلها أكمل وأحسن، ومن رحمة الإسلام بها أن حبب تقديم يد العون لها

(١) وهذا النوع من البيوع يسميه الفقهاء بيع الفضولي. انظر: بداية المجتهد: لابن رشد (ج٣ ص ١٨٩).
(٢) سنن أبي داود (ج٣، ص ٢٥٦) (كتاب البيوع/باب في المضارب يخالف بيع الفضولي) (٣٣٨٦) والحديث فيه مجهول، قال الشيخ الألباني: ضعيف
(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم (ج ٥ ص ١٧٠) وهو رأي الجمهور.

وجعلها من الصفات المحمودة لكونها من هدي النبي ﷺ، ففي صحيح البخاري عن الأسود قال: «سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» وعن عروة قال: «قلت لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»[1].

فإن حدث تقصير أو خطأ منها لطبيعة الحياة والضعف البشري، فيستوصي بها خيرًا ولا يعنفها ولا يضربها؛ فقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بزوجاتهم خيراً ويقول: «إنما هن عوان عندكم»[2] وعوان أي: أسيرات، وهو تشبيه يقتضي الرحمة والرأفة والشفقة، لأن الأسير مقطوع عن الأهل مجبر على عمل ما يُطلب منه؛ وخاصة إن كان حبسه من غير ذنب اقترفه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف حاله مع خادمه ومعاملاته لنسائه لاشتراكهم في معنى الخدمة والامتهان في البيت فتقول: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قَطُّ بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله»[3].

الرحمة بالمرأة العاملة خارج البيت: يصف لنا الله في القرآن موقف موسى عليه السلام مع بنتي شعيب؛ اللذان اضطرتهما الظروف للعمل خارج البيت، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص]. فقدم موسى لهما خدمة من غير أجر، وحافظ على

(١) اخرجه أحمد (ج ٦، ص٢٦٠) (٢٥٧٠٧) وصححه ابن حبان، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.
(٢) سنن الترمذي (ج ٣، ص ٤٦٧) (كتاب الرضاع/باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٣٦) قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».
(٣) رواه مسلم (ج ٤، ص١٨١٤) كتاب الفضائل باب مباعدة النبي للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

شرفهما وصيانة عرضهما خارج بيتهما مراعيًا أنوثتهما، خلافًا للكثيرين الذين إن أتيحت لهم فرصة معاملة المرأة، فإنهم يستضعفونها ويستغلونها كونها قليلة الخبرة والمعرفة بخبايا الناس، وتتعامل بتلقائية مفرطة كما هو حال الكثيرًات، بل قد يستغلونها في غير ما أحل الله، كما سنبينه في مواقف للتشريع البشري فيما يتعلق بالمرأة وعملها خارج بيتها.

النموذج الثالث:

الرحمة بالأطفال العاملين: الأصل أن مرحلة الطفولة للتأديب والتعليم والحفظ لا للعمل[1]، فإن حدث استثناء أو ضرورة فلا بد من مراعاة طبيعة الطفل والرحمة به، فلا يُعنف ولا يُكلف فوق طاقته أو بما يشق عليه، فإن بدر منه تقصير فإن العفو يَطَلُبُهُ رحمة وشفقة عليه فعن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفى نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ قال: فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس اذهب حيث أمرتك»، قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله.[2] وعن ثابت عن أنس قال: «قال خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت»[3].

النموذج الرابع:

الرحمة بالحيوان المسخر للعمل: أول ما يقرره الإسلام في مجال الرحمة والرفق بالحيوان المسخر، أن يجعل عالم الحيوان كعالم الإنسان مع الاحتفاظ

(١) حكم عمالة الأطفال في الفقه الإسلامي: د/ حمد عزام ومرام المواجدة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ج ٤ العدد ٣ بتاريخ ١٤٢٩/٢٠٠٨.

(٢) صحيح مسلم (ج٤، ص ١٨٠٥) (كتاب الفضائل/ باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا) (٤٢٧٢).

(٣) صحيح البخاري (ج ٩، ص ٢٢٤٥) (كتاب الأدب/باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل) (٥٦٩١).

لكل بمزاياه وخصائصه التي جبله الله عليها، فلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨].

ومن رحمة الإسلام بالحيوان الذي أُعد للمهنة وهي الصيد، أن أمرنا بتعليمه لأجل إباحة صيده[١] قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾ [المائدة] قال القرطبي في تفسيره «﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾: قال بعضهم: هو كل ما علم الصيد فتعلمه من بهيمة أو طائر»[٢]، وهذا يستلزم عناية خاصة به، من حيث الإلزام بوجوب النفقة، وتفريغه لهذا العمل المضني الشاق، ونجد في كتب الفقهاء كتاب النفقات يبين ذلك ويفصله.

ومن الرحمة بالحيوان الممتهن، أن نحترم تخصصه وما خُلق له، وأن لا نكلفه ما لا يطيق قال أبو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث»[٣]، وقال ﷺ: «اركبوا هذه الدواب سالمة، وابتدعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي»[٤] والمعنى: اقطعوها عن السير سالمة قبل أن ينقطع بإتلافكم لها.

بل إن من الرحمة بالحيوان الممتهن، أن لا نتعبه بالزجرِ والصياحِ كحال الفرس حين التسابق عليه، قال النبي ﷺ: «لا جلب ولا جنب في الرِّهانِ»[٥]

(١) ينظر بداية المجتهد: ابن رشد (ج٣، ص ٦).
(٢) تفسير القرطبي: (ج٦، ص ٦٥).
(٣) رواه البخاري: (ج ٣، ص ١٣٤٠) (كتاب فضائل الصحابة/باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذ خليلًا) (٣٤٦٣).
(٤) المستدرك على الصحيحن عن معاذ بن أنس، عن أبيه: (ج٢، ص ٨٩) (اول كتاب المناسك/باب آداب الركوب) (١٦٦٧) وصححه الألباني.
(٥) سنن أبي داود (ج ٣، ص٦٧)، والترمذي (ج٣، ص٤٣١)، (كتاب النكاح/ باب النهي عن نكاح الشغار، (١١٢٣) وقال الترمذي: «حسن صحيح».

قال صاحب المغني: «معنى الجنب: أن يجنب المسابق إلى فرسه فرسًا لا راكب عليه، يحرض الذي تحته على العدو، ويحثه عليه»، وقال: «وأما الجلب، فهو أن يتبع الرجل فرسه، يركض خلفه، ويجلب عليه، ويصيح وراءه، يستحثه بذلك على العدو»[1] لما يترتب عليه من إضرار الفرس.

ووصل الحد بالحيوان الممتهن الذي كلفه صاحبه فوق طاقته إلى أن يشتكي نبي الرحمة، ليعلم أمته معالي الأخلاق وأرقى الأساليب في تسخير الحيوان، ففي الحديث أن النبي ﷺ دخل بستاناً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذِفْرَاهُ[2] فسكت، فقال: «من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال لي: يا رسول الله، فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتُدْئِبُهُ (تتعبه)»[3].

النموذج الخامس:

الرحمة بذوي الدخل المحدود والعاطلين عن العمل: لم يكتف الإسلام بالاهتمام بالأجير أو العامل في مقر عمله وفي موضع مهنته فقط، ولكن تعدى الأمر إلى الاهتمام بمشاكله الاجتماعية واحتياجاته النفسية خارج إطار العمل، وتقديم له يد العون سواء بالشفاعة الحسنة، أو الإعانة المادية، كحال خادم النبي ربيعة بن كعب الأسلمي، الذي أخبر أنه كان يخدم النبي ﷺ، فقال له ذات يوم: يا ربيعة، ألا تتزوج؟ قال: قلت: يا رسول الله، والله ما عندي ما يقيم امرأة، وما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء، ثم قال لي يومًا آخر: يا ربيعة، ألا تتزوج؟ فقلت له مثل ذلك، قال: ثم قلت في نفسي: والله

(١) المغني: لابن قدامة ص (٣٨٤ -٣٨٥) المسألة (٧٩٣٩).
(٢) ذفرى البعير: أصل أذنه، ومشاه ذفريان. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ج٢، ص١٦١).
(٣) سنن أبي داود: (ج ٣، ص ٢٣) (كتاب الجهاد/ باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم) (٢٥٤٩) وصححه الألباني.

لرسول الله أعلم بما يصلحني من أمر دنياي وآخرتي مني، والله لئن قال لي رسول الله ﷺ الثالثة، لأقولن: نعم، فقال لي الثالثة: يا ربيعة، ألا تزوج؟ قال: قلت: ليصنع رسول الله ما شاء، فقال: انطلق إلى آل فلان ناس من الأنصار، فقل: رسول الله أرسلني يقرأ السلام، ويأمركم أن تزوجوني فلانة، فأتيتهم، فقلت: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني فلانة، فقالوا: مرحبًا برسول الله، وبرسول رسول الله، والله لا يرجع رسول رسول الله اليوم إلا بحاجته، قال: فزوجوني وأكرموني، فأتيت رسول الله ﷺ فرآني كئيبًا حزينًا، فقال: ما لك يا ربيعة؟ قلت: يا رسول الله، أتيت قومًا كرامًا فأكرموني وزوجوني، وليس عندي ما أسوق، فقال رسول الله ﷺ: يا بريدة الأسلمي، اجمع لي في وزن نواة من ذهب، فجمع لي فيها، فقال: انطلق بهذا إليهم، فأتيتهم، فقبلوا ذلك مني وفرحوا، فأتيت رسول الله ﷺ فرآني كئيبًا، فقال: ما لك يا ربيعة؟ قلت: يا رسول الله، أتيت قومًا كرامًا فقبلوا ذلك مني وفرحوا، وليس عندي ما أولم، قال: يا بريدة، اجمعوا له في ثمن كبش، فجمعوا لي في ثمن كبش عظيم، ثم قال: ائت عائشة، فقل لها: يقول لك رسول الله: ادفعي إليه ذاك الطعام، فأتيتها، فقالت: دونك المكتل، والله ما عندنا غيره، قال: فأخذته وأتيت رسول الله ﷺ، فقال: انطلق بهذا إليهم فليصلح هذا عندهم خبزًا، ولينضج هذا عندهم لحمًا، فأتيتهم به، فقالوا: أما الخبز فنحن نكفيكموه، واكفونا أنتم اللحم، فانطلقت بالكبش إلى أناس من أصحابي، فتعاونا عليه ففرغنا منه، وانطلقت به فأولمت، فدعوت رسول الله ﷺ فأجابني[1]».

النموذج السادس:

الرحمة بغير المسلمين من العمال: الاختلاف في الأديان لا يحول دون الأخلاق الإنسانية الراقية والرحمة بالآخر وتمني الخير له، خاصة إن كانت

(١) مسند أبي داود الطيالسي ت ٢٠٤ ه حَدِيثُ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ (١٢٥)، وإتحاف الخيرة: لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري(ج١، ص٣١٥٩).

تجمعنا معه مشاغل يومية تقربنا منه، وتسنح لنا الفرصة لدعوته وإكرامه، فعن زيد عن ثابت عن أنس قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»،[1] فهذا النبي يهتم بخادمه اليهودي ويتمنى له الخير بدعوته للإسلام وهو في رمقه الأخير حتى يكون قد أدى واجبه اتجاهه دينا ودنيا.

المطلب الثاني
نماذج الرّحمة المهنية في الفقه لإسلامي

من المقرر عند الفقهاء، أن العلاقة بين العباد تُبنى على المُشاحة، على خلاف العلاقة بين العبد والرب فتبنى على العفو والمسامحة، لهذا فقد اهتموا في استنباطهم للأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية باستخراج الحقوق والواجبات، وبينوا الشروط والمنهيات، أكثر من اهتمامهم بما زاد عن ذلك، فتكلموا في البيوع وأنواعها وشروطها، الإجارة والأجير، وفي الشفعة وغيرها من الأبواب، دون التركيز أو الالتفات إلى معاني الرحمة الموجودة ضمن النصوص إلا نادرًا؛ كقولهم: ويُندب[2] ترجيح الميزان من قوله ﷺ: «زن وارجِحْ»[3]، لأن الأصل هو أداء السلعة بوزنها فإن رجح فهذا فضل ورحمة، ويستدلون على حرمة البيع على البيع[4] بما جاء الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه»، وهو حق

(١) رواه البخاري (ج١، ص ٤٥٥) (كتاب الجنائز/ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام) (١٢٩٠).
(٢) فقه السنة: لسيد سابق (ج٣، ص١٠٦).
(٣) سنن الترميذي (ج٣، ص ٥٩٨) (كتاب البيوع عن رسول الله ﷺ/باب ما جاء في الرجحان في الوزن) (١٣٠٥) قال أبو عيسى: «حديث سويد حديث حسن صحيح وأهل العلم يستحبون الرجحان في الوزن».
(٤) المغني: لابن قدامة (ج٤، ص٣٠٠).

واستنباط لا شك في صحته، إلا أنهم لا يشيرون إلى لفظ «أخيه» الذي له من الدلالات الشيء الكثير، أدناها أنه يوحي برابطة الإيمان، وأنه لا بد من وجود شفقة ورحمة وإحسان حال التعامل بين الناس؛ لأنهم إخوة في الله قبل كل شيء، وهذا ليس تفريطًا أو تقصيرًا منهم؛ بل هو ما تمليه طبيعة التأليف والتكليف؛ حيث إن التأليف يقتضي الالتزام بالأحكام الظاهرة وفق منهج علمي معين، والتكليف الرباني يلتزم العدل بين الناس، والمحافظة على حقوقهم بالدرجة الأولى، ثم ترك مسألة زيادة الفضل للوازع الإيماني وللدافع الإنساني.

وليس يعني هذا أن التشريع الإلهي خالٍ من الحكمة، فإن في الأمر والنهي الشرعيين حكمة ورحمة عظيمة لا يدركها إلا من نظر في أسرار التشريع، وتأمل في مصالح العباد المتعلقة به، قال ابن القيم رحمه الله: «والشريعة مبناها وأساسها يقوم على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل»[1].

ولهذا فإن الكثير من الأحكام التي سنها الفقهاء كان دافعها الرحمة ابتداء، وعلى رأسهم السلف الصالح الذين كانوا أقرب الناس في تحقيق مفهوم الرحمة من غيرهم؛ بحكم بعدهم عن التنطع وميلهم إلى التيسير الذي هو من صميم هذا الدين.

فهذا عمر يرى مرة في السوق شيخاً كبيراً يسأل الصدقة فقال له: من أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ كبير أسأل الجزية والنفقة، وكان يهودياً من سكان المدينة. فإذا بعمر يقول له: ما أنصفناك يا شيخ. أخذنا منك

(١) إعلام الموقعين: ابن القيم (ج ٣، ص ١٢).

الجزية شاباً ثم ضيعناك شيخاً. وفرض له ما كان من طعامه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال يقول: إفرض لهذا وأمثاله ما يغنيه ويغني عياله![1]، ووضع الجزية عن فقراء أهل الذمة، فكان الأساس الأول لما يسمى الآن بمنحة التقاعد.

بل إن عمر أول من وضع المنح العائلية الخاصة بالأولاد التي يتقاضاها العمال في زمننا هذا، فقد رُوي أن عمر سمع بكاء صبيٍّ يومًا توَجَّه نَحْوَه أمه، وأمرها أن تتقي الله وتحسن إلى صبيها ظنًا منه أنها تسيء معاملته، فعلم بعد ما رجع إليها في المرة الثالثة أنها تريد أن ترغمه على الفطام فلما سألها عن ذلك؟ قالت: لأنّ عمر لا يفرِض إلا للفُطُم، فقال: وكم لهُ؟ قالت: كذا وكذا شهرًا، قال: ويحك لا تعجليه! فصلَّى الفَجر وما يستَبِينُ النّاس قراءته من غلبة البكاء، فلمّا سلَّم قال: يا بُؤْسًا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين! ثمّ أمر مناديًا فنادى: أَلا لا تُعْجِلُوا صبيانكم عن الفطام فإنّا نفرض لكلِّ مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق: إنَّا نفرض لكلِّ مولود فِي الإسلام[2].

وحينما جاء غلام عمِل على بغلٍ بدرهم ونصف، للخليفة عمر بن عبدالعزيز وقد كان يأتيه بدرهم كل يوم، قال عمر بن عبدالعزيز: «أما بدا لك؟ قال: نفِقتُ السوق[3] (راجت السوق) قال عمر: لا، ولكنك أتعبت البغل! إحِمّه ثلاثة أيام»[4]؛ أي: أَمَرَه بعد أن أرهقه وأتعبه في السوق، بأن لا يركبه ويتركه ثلاثة أيام يستريح فيها نظير ما كلفه فوق عادته، وهذه هي الرحمة التي جعلت أبا الدرداء يخاطب بعيرًا له عند الموت فيقول:

(١) الخراج: لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ص ١٢٦.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (ج٣، ص ٢٢٨ -٢٢٩) وهذه الرواية ضعيفة. وأوردناها على ضعفها لكونها اقرب ما تكون للمرويات التاريخية؛ فلا يشترط فيها ما يشترط في حديث النبي ﷺ.
(٣) انظر: لسان العرب ابن منظور مادة (نفق) (ج ١٤، ص ٣٢٧)، ونفق البيع نفاقًا: راج.
(٤) وراه أحمد في الزهد (٣٠)، صحيح.

«يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك، فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك».

وفقهاء الخلف كذلك لهم نماذج من الفتاوى التي عللوا وبنوا عليها أحكامًا فقيهة، انطلاقًا من الرحمة المقصودة في الشرع، فأبو حنيفة: لا يجوز الاستئجار على غسل الميت، ويجوز الاستئجار على حفر القبر وحمل الجنائز، خلافًا للشافعية[1]، باعتبار أن غسل الميت قربة، وعبادة دافعها الرحمة البشرية، والحصول على الأجر الآخروي بالدرجة الأولى.

كما عللوا جواز احتراف صناعة الدمى، مع ورود النهي في صناعة التماثيل؛ بأن ذلك رحمة للبنات الصغار اللواتي أباح لهن الشارع اللعب بالدمى، وما كان في منوالها، وإن كان خلاف الأصل وهو الحرمة.

ووصل الحد ببعضهم وهم يتباحثون في مقدار ما يمكن للحيوان أن يحمله، إلى الاختلاف حول مقدر ما يستطيع الحمار والبغل حمله، حتى إن بعض الفقهاء قدر لكل منهما مقدارًا لم يرض فقيهًا آخر، فعقب على ذلك بقوله: «لعمري أن هذا إنصاف للبغل وإجحاف كبير بالحمار»[2]، ومنع بعضهم التفريق بالبيع بين البهيمة وولدها لنهي الرسول ﷺ عن تعذيب الحيوان والأمر بالرحمة به[3]، وحينما تكلموا عن الظئر، وهي المرأة المرضعة لغير ولدها؛ قالوا: يُستحب إكرامها وإكرام أقاربها رحمة لها وتشريفًا لمقامها، فقد كان ﷺ يكرم أقارب ظئره كما في زاد المعاد وغيره، وهي عند بعض الفقهاء بمثابة الأجير الخاص، فلا يجوز لها أن ترضع رضيعًا آخر رحمة بمن ترضعه وتقوم عليه[4]، وغيرها من الأحكام كثير وفيما ذكرنا الكفاية إن شاء الله.

(١) فقه السنة: لسيد سابق ص ١٤٢.
(٢) من روائع حضارتنا: مصطفى السباعي ص ١٦٣.
(٣) المجموع شرح المهذب لنووي (ج ٩، ص ٤٤٢).
(٤) مدونة الفقه المالكي بادلته: الصادق عبدالرحمن الغرياني (ج ٣، ص ٤٩٣).

المطلب الثالث
نماذج الرحمة المهنية من خلال القوانين الوضعية

حينما نتكلم عن الرحمة المهنية ضمن القانون الوضعي، فإننا نقصد قانون العمل الذي يظهر على شكل النظم الأساسية، والقوانين الداخلية، الصادرة عن منظمات إقليمية منبثقة من التوصيات، واللوائح الدولية المتمثلة أساسًا في منظمة العمل الدولية[1].

في البداية يجب أن نقر بأن من الصعب الكلام حول الرحمة المهنية في القانون الوضعي، كون هذا المصطلح غائب بالكلية عن منظومة القانون الوضعي وعقلية الغرب، سواء من حيث اللفظ أو المعنى، ولكن هناك ملامح لهذا المفهوم تندرج ضمن الحقوق والواجبات العمالية، التي كثيرًا ما يعبرون عنها بمصطلح العدالة الاجتماعية[2] والمتمثلة في[3]:

- التامين بمختلف أنواعه: مثل التأمين الصحي، التأمين ضد البطالة، التقاعد، حق الضمان الاجتماعي وغيرها.
- تنظيم ساعات العمل، كوضع حد أقصى لساعات العمل اليومية والأسبوعية.
- العطل الأسبوعية والسنوية، وعطل المناسبات الدينية والوطنية، وبعض المناسبات الخاصة، كالحج ووفيات بعض الأقارب.
- حظر عمل الأطفال، وتوفير الحماية اللازمة للمرأة العاملة والأحداث،

(١) منظمة العمل الدولية (ILO)، هي منظمة تأسست في عام ١٩١٩ ومقرها مدينة جنيف في سويسرا؛ كرد فعل على نتائج الحرب العالمية الأولى وفي عام ١٩٦٩، تلقت المنظمة جائزة نوبل للسلام.

(٢) حول حقوق العمال في القانون الدولي: كمال سيد قادر، مجلة الحوار المتمدن-العدد: ١١٨٤ - ٢٠٠٥/٥/١.

(٣) المقال نفسه.

والسعي إلى محاربة ظاهرة التميز العنصري بكل أشكاله، ومساعدة العمال المهاجرين وعوائلهم.

- تقنين الحد الأدنى للأجور، وضمان أجر للعامل يتناسب مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، مع السعي لإيجاد فرص عمل مناسبة.
- دعم التعاون التكنولوجي بين الدول، والتعاون خاصة مع دول العالم الثالث لغرض تدريب وتأهيل الأيدي العاملة.

المبحث الثالث
المقارنة بين التنزيل الشرعي والقانون الوضعي في مراعاتهما للرحمة المهنية

المطلب الأول
مزاعم باطلة تتخفى تحت مفهوم الرحمة المهنية

حينما نقيم أي منهاج فإننا نقيمه ابتداء من تصوره النظري لتحقيق أهدافه وبنوده التي وضعها لبلوغ غايته. والقانون الوضعي المتعلق بالعمال في جوهره، يسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ولو نجح في ذلك، لتحققت معاني كثيرة للرحمة المهنية بشكل تلقائي، حتى وإن لم تكن مقصودة أصلًا في التشريع الوضعي، بحكم أنهم يؤسسون لمنهجهم وفق مبدأ الحقوق والواجبات لا غير.

ولعل القانون الوضعي للعامل قد نجح في تحقيق بعض أهدافه بشكل نسبي، ومتفاوت بين منطقة وأخرى، ولكنه فشل فشلًا ذريعًا في تحقيق أهداف أعظم، ونتج عن هذا الفشل ظلم كبير، لاعتماده منهجًا مخالفًا للمنهج الإلهي والفطرة السليمة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور] ومما وقع فيه:

١. تحصين أنواع من الكسب المحرمة شرعًا:

إن إباحة وتقنين بعض المهن المحرمة شرعًا[١] أو التي تمس بالكرامة الإنسانية، وتتعامل مع البشر وكأنه آلة من غير إحساس أو شعور، ثم الادعاء بأن ذلك يدخل ضمن الحق في التوظيف والاختيار، رحمة بالناس ومراعاة لظروفهم المادية وعدم التضييق عليهم؛ لَمن أَهمِّ المظالم التي قنن لها البشر كي يستعبدوا بعضهم بعضًا، ويخدموا مصالحهم المادية الخاصة على حساب الملايين من البشر، على خلاف المنهج الرباني الذي يسعى إلى تحقيق المصلحة العامة دون المساس بالمصلحة الخاصة، فلا ضرر ولا ضرار.

وهذه بعض النماذج لمهنٍ، تُمتهن فيها الإنسانية باسم الرحمة والحرية المزعومة، فقد أشارت صحيفة "ديلي ميرور"[٢] البريطانية إلى مجموعة من أغرب الوظائف، تتقزز منها الفطرة السليمة ويقشعر لها بدن كل بشر لا زال في قلبه ذرة إحساس، من هذه الوظائف شم الإبطين؛ حيث يعمل صاحب هذه الوظيفة في شركات إنتاج مزيلات العرق، ويتمثل جزء كبير من عمله في استنشاق رائحة الإبطين للأشخاص الذين يجربون منتجاتهم للتأكد من جودتها.

ثم وظيفة أخرى لا تقل عن الأولى إهانة للبشر، واحتقارًا لأدميتهم، وهي تذوق طعام الحيوانات الأليفة؛ حيث يعمل الموظف في شركة ليتأكد من أن أطعمة القطط والكلاب لذيذة ومناسبة قبل تقديمها للحيوانات، ويمضغ العلكة بين كل عملية تذوق وأخرى من أجل أن لا تختلط النكهات عليه!.

ومن أكثر المهن امتهانًا واستعبادًا للبشر مهنة[٣] المتاجرة بالجسد أو

(١) وغيرها كثير كالميسر والقمار والبنوك الربوية والكهانة والسحر والأفلام الإباحية.. الخ.
(٢) مجلة الأنباء الكويتية مقال بعنوان أسوأ ٧ وظائف في العالم، العدد: ١٤٢١٣ - السبت - ٢٨ من ذي القعدة ١٤٣٦ - ١٢ سبتمبر ٢٠١٥ -.
(٣) مجاراتهم على تسمية هذا الفُحش بمهنة من باب تتبع الحقائق وكشفها لا غير، وإلا فلا يجب أن نسميها مهنة.

الدعارة؛ التي يعتبرونها أقدم مهنة في التاريخ البشري في زعمم؛ هذه المهنة التي أقرت بها معظم الدول، وجعلت لها قوانين وضوابط مثلها مثل أي مهنة قانونية أخرى، حتى باتت المومس التي تقدم الخدمات الجنسية بمقابل مادي، موظفة قانونية تخضع لحقوق، وواجبات الموظفين العاديين في شتى المجالات الآخرى.

فصار الجسد سلعة رخيصة تباع وتشترى، وصدرت عدة كتب، وأعدت برامج تلفزيونية، تركز على التخلص من النظرة السلبية كما يزعمون لصناعة البغاء، مثل كتاب يولاند جياده «البغاء.. مهنة كأي مهنة أخرى».

ووصل الحد بمنظمة العفو الدولية أن تدعو إلى عدم تجريم الدعارة[١]، وفي التسعينيات أقرت ألمانيا قوانين وتشريعات لتنظيم مهنة الدعارة، تُقر فيها بالحق في الحصول على معاشات التقاعد، والشيخوخة والتأمين الصحي، وحد أقصي لساعات العمل لا يتجاوز ٤٠ ساعة عمل أسبوعيًا، وصار للمومسات بطاقة بغاء معتمدة تخولهن ممارسة الدعارة بشكل قانوني في ظروف صحية مناسبة[٢]، وأصبح لأصحاب هذه المهنة نقابة للدعارة وحق «الإضراب الجنسي»، ويوم عالمي للاحتفال.

وقد خرجت[٣] مومسات باريس وتظاهرت المئات منهن، شاركت معهن إحدى الأعضاء في مجلس الشيوخ الفرنسي وهي استر بنباسا، للتنديد ببعض القيود التي وُضعت لضبط هذه المهنة؛ كل هذا تحت شعار الرحمة بالإنسان وحقه في كسب قوت يومه.

(١) وذلك في لقاء تم من يوم ٧ إلى ١١ من أوت ٢٠١٥ ونحن بصدد اعداد هذا البحث، جريدة النهار الجزائرية تحت عنوان: منظمة العفو الدولية تدعو إلى عدم تجريم الدعارة العدد بتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٢ نقلًا عن جريدة لوموند الفرنسية.

(٢) اسم الصفحة: دعارة حسب البلد المؤلف: مساهمو ويكيبيديا الناشر: ويكيبيديا، .تاريخ آخر مراجعة: ٢٤ أغسطس ٢٠١٥ ٠٩: ١٠ UTC رقم نسخة الصفحة: ١٦٧٠٧١٦٦.

(٣) وهو خبر تناقلته الكثير من وسائل الاعلام http://www.medjedel.net/t441327.

والحقيقة أن القانون الوضعي على خلاف القانون الرباني الشرعي يتخفى وراء شعارات الحرية والمساواة، لأجل تحقيق أغراض مادية دنيئة، فقد قال أحد المدافعين عن سوق الجنس: «يباع السلاح مرة واحدة، وكذلك حقنة الهيرويين، في حين يستطيع القواد استعمال المومس سنوات»، ففي اليابان مثلًا تقدر عائدات تجارة الجنس بما لا يقل عن ١٪ من الناتج القومي الإجمالي، وهذا يعادل الميزانية المالية المخصصة للدفاع في اليابان[١]، وفي سويسرا التي تحدد عمر ١٦ سنة حدًا أدنى للسن القانوني الذي يُسمح فيه بممارسة البغاء، تقدر مداخيل سوق البغاء فيها نحو ٣،٥ مليار فرنك[٢]، والبغاء مهنة عشرات الآلاف من الطلاب الجامعيين في بريطانيا[٣].

ولن نخوض في الأضرار الصحية والويلات التي تترتب على هذه الآفة الخطيرة التي يقرها القانون الوضعي، بل سنكتفي بالإشارة إلى أثر مهني واحد يترتب عنها، وما ينجر من آثار سلبية وخيمة عن ذلك؛ وهو أن إحدى الدراسات[٤] أوضحت أن المرأة إذا مارست البغاء لمدة تسع سنوات بمعدل خمس زبائن يوميًا لمدة ستة أيام في الأسبوع؛ فإن هذا يعني أن جسدها قد انتهك تسعة آلاف وأربعمائة وخمسين مرة من قبل رجال غير معروفي الهوية، في حين أن دراسات أخرى تؤكد أن في مدينة زيورخ، بعض المومسات يعملن مدة ٧٠ ساعة في الأسبوع، ومنهن من يبلغ نصيبها ٣٠ رجلًا في الليلة الواحدة، فينتج عن ذلك تبلد في الأحاسيس والعواطف، وتشوه في الشخصية، ليحدث ما يُسمى بالموت الاجتماعي،

(١) اسم الصفحة: دعارة حسب البلد المؤلف: مساهمو ويكيبيديا الناشر: ويكيبيديا، تاريخ آخر مراجعة: ٢٤ أغسطس ٢٠١٥ ٠٩: ١٠ UTC رقم نسخة الصفحة: ١٦٧٠٧١٦٦.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) مقال بجريدة البلد العدد الصادر بتاريخ السبت ١٢ سبتمبر ٢٠١٥ تحت عنوان: البغاء مهنة عشرات الآلاف من الطلاب الجامعيين في بريطانيا.

(٤) نقلًا عن مقال بمجلة الغد البغاء أفضل أسلحة الغرب في محاربة الإسلام بنغالاديش أنموذجًا/ د. أحمد خضرالعدد الصادر بتاريخ ١٤٣٣/٠٢/٢٤ الموافق لـ ٢٠١٢/٠١/١٨.

حيث يلجأن إلى العزلة والانفصال عن المجتمع، ذليلات مقهورات، غير قادرات على مشاركة الحياة مع الآخرين.

فأي رحمة هذه التي يقرها القانون الوضعي ويدافع عنها أصحابه؟! في حين أن الإسلام فصل في هذه الفاحشة وسد كل المنافذ المؤدية إليها، بقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور] قال ابن كثير في تفسيره: «كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة، أرسلها تزني، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت. فلما جاء الإسلام، نهى الله المسلمين عن ذلك»(١).

وبين الإسلام أن الحل الأمثل في ترك امتهان الجسد؛ هو الرحمة بين البشر والتعاون فيما بينهم على الخير والعفاف بدافع الحصول على أجر أخروي، جاء في حديث الذين حُبسوا في الغار، يصف حال من طلبت الفاحشة اضطرارًا لأجل المال، وكيف تعامل معها أحد النفر الثلاثة الذين فرج الله عنهم كربتهم «...اللَّهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ، فأردتها على نفسها فامتنعت، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى أذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفضن الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج»(٢).

(١) تفسير ابن كثير: (ج٦ ص ٥٠) وذكر أنها نزلت في عَبْدِاللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابن سَلُولٍ الذي كان يكره أمة له على البغاء.

(٢) سبق تخرجيه.

٢. المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات المهنية:

من أهم مظاهر الرحمة التي يتغنى بها الحقوقيون والمشرعون المعاصرون، الرحمة بالمرأة بجعلها مساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات المهنية، موهمين بأن هذا من الرحمة والشفقة التي يجب أن تكون اتجاه المرأة باعتبارها عنصرًا فعالًا في المجتمع المهني مثلها مثل الرجل، وقد تكون أحسن منه في بعض الأحيان، فلا فرق بينهما إلا في الكفاءة والقدرات المهنية، متناسين طبيعة كل منهما، واختصاصه بالوظيفة التي خلقه الله لها، وأن رحمة التشريع تقتضي تحقيق العدالة وليس المساواة؛ لسبب بسيط، وهو أن المساواة ظلم لأحدهما على الآخر، وليست رحمة به.

ولعل آخر تطور في شأن حقوق المرأة، يتمثل في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) Elimination of All Forms of Discrimination Against Women والتي تصوّر العلاقة بين الرجل والأنثى، كعلاقة ظلم تاريخي تريد أن تضع حداً له، متناسين اختلاف بعض الوظائف الفسيولوجية والسيكولوجية بين الرجل والمرأة، والتي لا تحتاج إلى بيان[1]، ناهيك عن الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة في جميع الأديان، كعدتها حال وفاة زوجها وما يترتب عليه من حرمة الخروج للمداومة، وللعمل بالليل، كممرضة أو طبيبة مثلًا، أو وجوب الزينة والتبرج في العمل كحال مضيفات الطيران في كثير من البلدان الإسلامية، بل إنهم لم يراعوا طبيعتها كأم أو زوجة، ففصولها عن الأسرة التي هي وظيفتها الأساسية، وجعلوا من عملها خارج البيت هو الأصل وليس الاستثناء، كما بين ذلك القرآن الكريم حينما تحير موسى وتعجب من خروج بنتي شعيب

(١) موقع مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر مقال بعنوان: حقوق المرأة بين القانون الإلهي والقانون الوضعي: المحامية مها فتحا لتاريخ ٢٠١١/٠٣/٠٩ http://www.islammoasser.org/ArticlePage.aspx?id=336.

للعمل وطلب الرزق ! قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾ [القصص]، فاخبراه أن ذلك للضرورة: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾، وأنهن فعلن ذلك وفق الضوابط الشرعية فلا اختلاط ولا تميع قال تعالى: ﴿لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص:٢٣].

ونتيجة لهذا التصور المغلوط عن المرأة ودورها المهني خارج بيتها، والأسلوب التشريعي المنتهج في حقها والذي يخالف طبيعة أنوثتها، وفطرتها كامرأة، ظهرت نتائج سلبية لا حصر لها أخلاقيًا وتربويًا، اقتصاديًا واجتماعيًا؛ حيث بينت الإحصاءات أن المرأة تميل إلى العودة إلى امتهان وظيفتها الأساسية في بيتها، لكونها تعتقد بأن هذا أسلم وأرحم بأنوثتها؛ فمن عينة ٥٥٪ نساء بينت أن ٨٥٪ تأييد التقاعد المبكر[١]، كما أن دراسة أجرتها منظمة العمل الدولية بينت أن المساواة المزعومة لم تتحقق، وأن مع تزايد العاملات في العالم فإنهن يجدن صعوبة في الحصول على مراكز عمل مرموقة، حيث إن ١-٣٪ نسبة النساء فقط في مراكز تنفيذية عليا و٢٠ ٪ نسبة النساء في مراكز عمل إدارية[٢].

فإذا نظرنا إلى المردود المادي المرجو من خروج المرأة للعمل، فإن الدراسات تثبت بأن ٤٠٪ من راتب المرأة العاملة خارج بيتها ينفق على المظهر والمواصلات[٣]، و٣٠٪ من تكاليف المنزل توفرها التي تعمل في منزلها[٤]، ولهذا فإن أكثر من ٣٧ مليون أمريكي يعملون في منازلهم، بعد اقتناعهم بأن مصلحتهم في ذلك، إضافة لذلك، فإن دراسة نشرتها إحدى أكبر شركات التأمين البريطانية على مليون أم بيت متفرغة، فجاءت النتائج

(١) جريدة عكاظ العدد الصادر بتاريخ ١٤٢٠/١/٢٧ ص ١٧.
(٢) جريدة الوطن العدد الصادر بتاريخ ١٤٢١/١٢/١٦هـ نقلا عن: جرافيك نيوز.
(٣) مجلة البنات عدد محرم ١٤٢٠هـ.
(٤) المرجع نفسه.

المثيرة تثبت أن المرأة المتفرغة للبيت تعمل ١٩ ساعة في أعمال البيت، وهي المربية والممرضة، والمسؤول الأول عن إدارة الشؤون المالية للبيت[١]؛ وفي تقرير لهيئة الأمم المتحدة فإن ١٤,٥٠٠ دولار في السنة تقدير أجر المرأة لقاء القيام بأعمالها المنزلية[٢].

ناهيك عن التجاوزات، والانتهاكات الأخلاقية بأنواعها التي تتعرض لها المرأة بشكل دوري مستمر في ميدان العمل خارج البيت.

فظهر لنا مما سبق أن الرحمة والمصلحة تقتضي أن تكون المرأة في بيتها وفي صيانة أهلها، وترشيد الإنفاق يكون بالمكوث بمسكن الزوجية، ولا يكون عملها خارج بيتها إلا استثناءًا وضرورة، وأن علاقتها بالرجل إنما هي علاقة تكامل وليس علاقة تماثل على النقيض تمامًا لما يدعو له القانون الوضعي، وأن الرحمة الحقيقية بالمرأة تكمن في التشريع الإلهي.

٣. التبادل المعرفي بين الدول:

أخذُ الأجرة على التبادل المعرفي، والتكوين المهني لا شك في إباحته، فهو حق مصون، وهو أمر يقره العقل والنقل، فإن قام أحدٌ ما بالتعليم ونقل المعرفة والخبرات من غير أجر، وكان ذلك عن طيب خاطر حبًا للغير ونشرًا للخير، فهذا إحسان ورحمة يجازى عليها عند الله دنيا وآخرة، ولكن أن تمنع غيرك من ممارسة حرفتك بحكم السبق، وكون الحرفة حصرًا عليك، فهذا من التعدي والظلم الذي لا يجب أن يكون.

وقد كان نظام الطوائف الحرفية في القرون الوسطى يقوم على هذا الظلم قال أحد الباحثين: «ينصرف معنى الطوائف الحرفية إلى تكوين الصناعيين أو الحرفيين طائفة فيما بينهم، تشكل نوعًا من النظام على

(١) مجلة البنات عدد محرم ١٤٢٠ هـ.
(٢) مجلة الأسرة عدد رمضان ١٤٢٠ هـ.

أساس من التدرج الطبقي، الذي يوجد على قمته المعلم، ثم العامل، ثم العامل المتمرن، ويقوم العاملون بانتخاب شيخ الطائفة الذي يملك وحده الحق في قبول احتراف أي شخص مهنة معينة، أو أن يصبح فيها معلمًا»[١] واستمر الوضع على ما هو عليه حتى جاءت الثورة الفرنسية لتبطله، وسُنّت بعد ذلك القوانين والمراسيم على خلافه؛ كما هو الحال في مرسوم آلارد Décret d'Allard الصادر في مارس ١٧٩١ والذي ورد فيه: «يكون كل شخص حرًا في أن يمارس المهنة أو الصنعة أو الوظيفة التي يراها مناسبة له»[٢]، وكما قضى قانون شابوليي Loi Chapelier لشهر جوان ١٧٩١ بأنه لا يجوز للعمال أن يسنوا لوائح بشأن مصالحهم المشتركة المزعومة... وإذا أبرم مواطنون فيما بينهم اتفاقات تقتضي دفع الغير لثمن لقاء التحاقهم بصنعتهم كانت هذه الاتفاقات غير دستورية»[٣].

وبعد كل هذه السنوات من البذل والجهد في تعديل القوانين، بما يتماشى وتحقيق العدالة البشرية في حرية الفرد لاكتساب الحرفة، والمهنة التي يريدها [٤]، توسع الأمر إلى تبادل المعارف بين الدول المتقدمة، ودول العالم الثالث[٥] من خلال بعض والدورات التكوينية المجانية في ظاهرها، تُمون من طرف هيئة اليونيسكو[٦] على شكل إعانات، وهبات، تؤخذ من هذه الدول عبر نهب لخيراتها لتؤول إلى خزينة الدولة الغربية التي تقوم بعملية إعادة التكوين.

(١) من منشورات للدكتور ساسان بعنوان: محاضرات في قانون العمل الجزائري.
(٢) المرجع السابق.
(٣) من منشورات للدكتور ساسان بعنوان: محاضرات في قانون العمل الجزائري.
(٤) وهي نتيجة إيجابية لا شك في ذلك ولكنها متأخرة كثيرًا.
(٥) وحتى نكون صرحاء مع أنفسنا لقلنا إنه تبادل للمعارف في جهة واحدة، لأن جهل دول العالم الثالث جعلها تابعة وليست متبوعة.
(٦) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO)، هي وكالة متخصصة تتبع منظمة الأمم المتحدة تأسست عام ١٩٤٥. هدفها هو المساهمة بإحلال السلام والأمن عن طريق رفع مستوى التعاون بين دول العالم في مجالات التربية والتعليم والثقافة يوجد مقرها الرئيس في باريس.

وكثيرًا ما تكون هذه الدورات التكوينية إما نظرية لا تأثير لها في الواقع، أو أن تكون متخصصة في ميادين بعينها لها ارتباط بإحدى الشركات التابعة لها، حتى تضمن التبعية الثقافية، والاقتصادية والتموين المستمر لمؤسساتها.

هذا التعاون في نقل الخبرات بشكله الحقيقي وليس الوهمي، أورده الله عز وجل في كتابه منذ خمسة عشرة قرنٍ، فبين لنا فيه معنى التراحم في نقل المعارف، وأن هذا من فضل ورحمة الله على العباد، جسّده من خلال قصة ذي القرنين؛ الذي أتاه الله مهنة وحرفة وجعله من المتمكنين فيها، فوجد قومًا لا يفقهون قولًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف]، فأرادوا تسخير ذي القرنين لتقديم خدمة مقابل أجر وهي بناء السد ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤]ولكنه فضل تقديم هذه المعرفة والتقنية من غير مقابل ولا أجر، رحمة وتفضلًا عليهم قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الكهف]، فبدلًا من أن ينكمش على ذاته ويستأثر بمعارفه، طلب منهم يد العون ليس لضعف أو احتياج لهم، بل لأجل نقل المعرفة، وتوريثها لهم، ومن غير أجر أو مقابل.

ولما انتهى من مهمته النبيلة نسب الفضل لله عز وجل، إيذانًا بأن الدافع لذلك إنما هو دافع عقدي رباني تجلى من خلال رحمة الله على عباده، فحق عليه أن يعاملهم ذو القرنين بالرحمة نفسها قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف].

مما سبق يتجلى إفلاس المنهج الوضعي في تحقيق مفهوم الرحمة

المهنية، سواء على مستوى التصورات النظرية أو على مستوى الممارسة الميدانية.

المطلب الثاني
الفرق بين التنزيل الشرعي والقانون الوضعي في تحقيق الرحمة المهنية

الفروق كثيرة وعديدة ولكننا نجملها فيما يلي:

١. غياب البعد العقدي:

إن مصطلح الرحمة غائب كلية عن حياة، ومعتقدات الغربيين الذين يقتدي بهم غيرهم من واضعي القوانين الوضعية، فهم يتعاملون مع الإنسان العامل، وكأنه آلة إنتاجية لا غير، تُستبدل بغيرها متى لزم الأمر، فجعلوا من الحياة المهنية صراعٍ لأجل البقاء، ووضعوا لها ضوابط إلزامية للمحافظة على الاستقرار.

والركيزة الأساسية التي اعتمدتها منظمة العمل الدولية في تحقيق العدالة النسبية بين العمال؛ وهي «أن السلام العادل والدائم لا يمكن أن يتحقق إلا إذا استند على العدالة الاجتماعية»[1] ثبت فشلها، لأنها تناست الأجر الآخروي، والبعد الروحي، والدافع العقدي للناس في معاملاتهم، والتي تُعتبر هي المحرك الحقيقي والمحفز الرئيس لأي عمل خيري.

ونتيجة لإفلاس القانون الوضعي في تحقيق الرحمة، اجتهد المشرعون في وضع ضوابط، وقوانين من خلالها يجبرون الإنسان على الالتزام ببعض

(١) بحث حول حقوق العمال في القانون الدولي: كمال سيد قادر، مجلة الحوار المتمدن-العدد: ١١٨٤ - ٢٠٠٥/٠٥/١.

القيم الأخلاقية التي كان من المفترض أن تكون بمبادرة ذاتية وبدافع داخلي أساسه الدين والعقيدة الصحيحة، قال أحد الباحثين: «مصطلح «الرحمة» ليس من الكلمات المتداولة في الغرب، ولعل ذلك يعود إلى أن القوانين تنظم كافة جوانب الحياة، فإذا لم تقدم المساعدة مثلًا لشخص أصيب في حادث، أو داهمه خطر كبير، وأنت قادر على مساعدته، فإن القانون الألماني ينص على فرض عقوبة بالحبس لمدة أقصاها سنة، أو بغرامة مالية»[1] وقال في موضع آخر قال: «الإنسان العصري في الغرب يفكر في قوالب الحقوق والعدالة، فإذا ألمت به ضائقة، فإنه يريد أن يكون عنده الحق القانوني في الحصول على المساعدة من الدولة، وألا يكون رهينة لرحمة من حوله، ورأفة الآخرين بحاله، ويشعر المواطن الغربي الراشد أن الرحمة تجاهه، تحط من كرامته، ولذلك فإن كل موظف يدفع تأمينات ضد البطالة عن العمل، وضد العجز عن العمل، وضد الشيخوخة، وضد المرض، وضد إصابة العمل، وإذا لم تغط كل هذه التأمنيات ما يتعرض له من أزمات، فإن هناك دوائر الرعاية الاجتماعية، والاتحادات الخيرية التي تعمل مع الدوائر الحكومية»[2]، ولعل العزوف عن طلب الرحمة من الغير، لا يعود كما ذكر الباحث إلى أن المواطن الغربي يشعر بأن هذا الرحمة والشفقة تحط من كرامته، وإنما لأنه آيسٌ من أن يجدها عند أحد من النّاس، ولو كان من أقربهم إليه، وهو أمر يقره الواقع. و قد رأيت في بعض دول الغرب كيف أن أحد الشحاذين في المطار يستصحب معه كلب يظهر عليه أنه من الأنواع التي تكلف صاحبها كثيرًا! فاخبرني بعض من كان معي من أهل البلد، أن جُل الشحاذين يفعلون ذلك استعطافًا للآخرين كي يمُنوا عليهم ببعض النقود رحمة بالحيوان المرافق لهم وليس رحمة بهم كبشر.

(١) الرحمة في المجتمعات الغربية المعاصرة: أسامة أمين، مجلة المعرفة العدد ١٨٥ تاريخ ١٤٣١/٨/١٩ الموافق لـ ٢٠١٠/٠٧/٣١.

(٢) المرجع نفسه.

٢. قداسة المرجعية الإلهية ونسبية التجربة البشرية:

إن العناد والكبر عن منهج الله سبب الشقاء البشري، واعتماد البشر على عقولهم، وتراكمات تجاربهم، في تحقيق مصالحهم، وعدم استنادهم إلى مرجعية ربانية حكيمة في تشريعها رحيمة في توجيهها، يؤدي بهم إلى التخبط طيلة أحقاب زمنية طويلة، تكون ضريبتها غالية وثمنها باهظ تدفعه الطبقة الضعيفة، ثم لا يصلون بعد معانات طويلة وجهود مضنية إلا إلى جزء يسير من الخير الذي سنه رب الناس.

والعمال والمهنيون ليسوا بمنأى عن ذلك، فقد دفعوا نتيجة هذا التآخر في سن القوانين، وتثبيت الحقوق الشيء الكثير، وهذا قبل أن يصل العقل البشري إلى بعض من القوانين التي تحافظ للعامل على أدنى مستويات الكرامة الإنسانية، ونوع من الرحمة المهنية المرجوة، وهي نتيجة حتمية لكل من يخرج عن منهاج الله ويكابر في الخضوع له؛ قال أحد الباحثين وهو بصدد الكلام على نظام الإقطاع الذي ساد أوروبا في القرون الوسطى: «وكان الأقنان أو عبيد الأرض[١] ملزمون بعدم مغادرة أرض سيدهم إلا بموافقته تحت طائلة إقامتهم فيها مدى الحياة، وكانوا ملزمين بدفع ضرائب وإتاوات، بعضها إلى الدولة، والبعض الآخر إلى سيدهم مقابل استغلالهم لجزء من هذه الأرض لصالحهم»[٢]، فكانوا حقًا بمثابة العبيد الذين يبيعون أنفسهم سلعة رخيصة لأجل عطاء سيدهم.

أما الإسلام فقد سن مفاهيم حقوق العامل ووضع التصورات للرحمة المهنية قبل قرون، حينما لم يكن الإنسان يعرف بعدُ مصطلح قوانين العمل، والتي لم تظهر حتى منتصف القرن التاسع عشر، لتأخذ شكلًا منظما سنة

(١) وهو الاسم الذين يطلقونه على العاملين في أراضيهم آنذاك.
(٢) من منشورات للدكتور ساسان بعنوان: محاضرات في قانون العمل الجزائري.

١٨٩٠ بمدينة بيرن السويسرية، حيث تم عقد أول مؤتمر في هذا الشأن[١]، ولم تكن القفزة النوعية النسبية إلا في سنة ١٩١٩م حين تأسست منظمة العمل الدولية، وما عرف العقل البشري كلامًا حول حقوق العامل إلا ما كان من بعض الاجتهادات لحمورأبي في الدولة البابلية الذي سن بعض القوانين، من ذلك تحديده أجور مختلف الفئات الحرفية مثل البنائين، والنجارين[٢]، في حين أن الإسلام كان يتكلم منذ آلاف السنين على المرضعة ووجوب إعطائها أجرتها: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق:٦] وهي المرأة الضعيفة التي لا حول ولا قوة لها.

ولو اقتنع الإنسان بمنهج الله عز وجل من البداية لقطع أشواطًا، ولاختصر أزمنة طويلة في تحقيق العدالة الاجتماعية والرحمة المهنية.

٣. طغيان النظرة المادية في التعاطي مع العامل:

الإسلام ينظر للإنسان العامل على أنه روح وجسد، ولكلٍ احتياجاته ومتطلباته، فإن كان الجسد يفتقد إلى الغذاء والسلامة، فإن الروح تفتقد إلى الرحمة والمؤانسة، والله حينما خلق الإنسان، خلقه من حفنة من تراب ونفخة من روح.

وأما البشر، فلما اتبعوا أهواءهم، وانساقوا وراء غرائزهم وشهواتهم، وجعلوا قيمهم وتشريعات ربهم وراء ظهورهم؛ صار ينظر بعضهم إلى بعض على أنهم مسخرون للخدمة لا غير، فإن تلقوا المقابل المادي فهذا جزاء خدمتهم، ولا يحق لهم المطالبة بشيء إضافي ولو كان معنويًا، فلا يُراعى جانبه الإنساني أو العاطفي البتة، وفي هذا قال أحد الباحثين: «والنظر للإنسان كموظف أو كقوة عمل، حلقة في سلسلة الإنتاج، إذا تعرضت لأي

(١) من منشورات للدكتور ساسان بعنوان: محاضرات في قانون العمل الجزائري.
(٢) المرجع السابق.

ضعف، جرى استبدالها، بحلقة جديدة، ونقلت الحلقة القديمة للصيانة ويتم تزويدها بالاحتياجات التي تنص عليها اللوائح والقوانين، دون حاجة لعيادة المريض، ولا زيارات للمستشفيات، ولا اتصالات هاتفية للاطمئنان عليه، فالأدوية متوفرة، والطعام في المستشفيات جيد، والتمارين الرياضية اللازمة لاسترداد الصحة البدنية مضمونة»[1].

وحتى الجانب الاجتماعي الذي فطر الله عليه البشر، يجب أن يزول لكي لا يكون عائقًا أمام العطاء والبذل «ومن يقرأ إعلانات الوظائف في الغرب، يجدها تشترط المرونة، والتي تعني في عرفهم الاستعداد للانتقال بين المدن، بل وبين الدول، وانتهاء حياة الاستقرار»[2] فلا أسرة لتسكن إليها النّفس، ولا علاقة صداقة مؤهلة للدوام والاستمرار.

فنتج عن ذلك القلق والاضطراب، والإرهاق الدائم والمتواصل، والأمراض العصبية المزمنة، ثم الخمر والمحذرات للهروب من واقع التفكك الأسري، والانفلات الاجتماعي، حياة لا مكان فيها للرحمة ولا للتراحم، بل حياة تقوم على جعل الإنسان رجلًا أليًا يعيش من غير شعور ولا روح.

(١) الرحمة في المجتمعات الغربية المعاصرة: أسامة أمين، مجلة المعرفة العدد ١٨٥ تاريخ ١٤٣١/٨/١٩ الموافق لـ ٢٠١٠/٠٧/٣١.

(٢) المرجع نفسه.

الخاتمة

اتضح لنا مما سبق مجموعة نقاط أساسية نلخصها فيما يلي:

- لا يمكن للقانون البشري أن يحقق الرحمة المهنية، لأنها أثر من آثار الإيمان بالله، وما يترتب على ذلك من أجر أخروي.
- الرحمة المهنية معنى ملازم للأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات المالية وغيرها.
- الرحمة المهنية تفضلٌ ومعنى زائد عن مجرد أداء الحقوق والواجبات.
- الرحمة المهنية مفهوم شامل عام لا ينحصر في شخص دون آخر ولا بميدان دون آخر.
- كل ما كان من معاني للرحمة المهنية في القوانين الوضعية فإن الشريعة تسعه، بحكم مرونتها، وقدرتها على احتواء ما كان من خير عند الآخرين.
- الكبر والعناد أكبر مانع عند البشر للعودة إلى الحق.
- ميزة الكثير من التشريعات البشرية المتعلقة بالعمل، أنها رحمة في ظاهرها عذاب في جوهرها، أو أنها تحقق مصلحة خاصة على

حساب مصلحة عامة، أو رحمة جزئية على حساب أخرى كلية.

- مما سبق اتضح جليًا أن منهج الله المتكامل للرحمة المهنية، هو الوحيد القادر على تحقيق السعادة للعامل، وأن هذا المنهج هو الذي يكون سببًا في نشر الحب والإخاء بين الناس، والكفيل بضمان أداء حقوقهم اتجاه بعضهم البعض، من غير إفراط ولا تفريط.

وعليه نوصي بما يلي:

- ضرورة العودة إلى المنهج الإلهي، ورد كل ما عارضه من التشريعات البشرية.
- التركيز على معاني الرحمة المهنية في عرضنا للإسلام على أصحاب المدنية الغربية، الذين يقدسون العمل كتقديسهم للحياة، ولكنهم حققوا به الرّيادة، ولم يحققوا به السعادة.
- إدراج الآيات والأحاديث الدالة على الرحمة المهنية ضمن القوانين الأساسية، والأنظمة الداخلية للمؤسسات لربط المسلم بمنهاج الله عز وجل، وخلق جو من الربانية في التعامل المهني.
- ربط الأحكام الفقهية في التآليف والتدريس ببعدها العقدي وأثرها الأخلاقي.
- السعي لنشر وإحياء مفهوم الرحمة المهنية من خلال المؤتمرات، والدروس والكتب والمنشورات.
- تفعيل مفهوم الرحمة المهنية من خلال دراسات ميدانية، واقتراحات عملية يشترك فيها فقهاء الشريعة والمختصون في القانون.

لا يسعني في ختام هذا البحث إلا أن اسأل الله الإخلاص والصواب،

وأن يستعملنا ولا يستبدلنا، واستغفر الله على ما كان من نقص أو سهو، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **كتب التفسير:**

١. التحرير والتنوير: محمد طاهر ابن عاشور: د ط، دار سحنون، دس.
٢. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ): ت: محمد حسين شمس الدين: ط: ١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩هـ.
٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر ابن عبدالله السعدي (ت: ١٣٧٦ ه) ت: عبدالرحمن بن معلا، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م
٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): ت: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي: ط:١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.
٥. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)
٦. ت: صفوان عدنان الداودي، ط: ١، دار القلم الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ.

- **كتب الصحاح والسنن:**

١. التنوير شرح الجامع الصغير: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني (ت: ١١٨٢هـ): ت: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، ط: ١، الرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م

٢. سنن الترمذي: ابن عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ): دط، دار الكتب العلمية، دس.
٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ)، ط:١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
٤. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني: ت: محي الدين عبدالحميد، دط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دس.
٥. سنن ابن ماجه: دط، الناشر المكتبة العلمية، دس.
٦. صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: دط، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٧. صحيح ابن خزيمة: الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ): ت د. محمد مصطفى الأعظمي، د ط، المكتب الإسلامي، بيروت، دس.
٨. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: د ط، دار إحياء الكتب العربية، د س.
٩. المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري: د ط، دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
١٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل: د ط، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١١. مصنف عبدالرزاق: أبو بكر عبدالرزاق: دط، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دس.

- **كتب الفقه:**

١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبو بكر الكاساني (ت: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢. المجموع شرح المهذب: يحيى بن شرف النووي: دط، مطبعة المنيرية، دس.
٣. بداية المجتهد ونهاية المقتصد المؤلف: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ): دط، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٤. زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ): ط:٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥. مدونة الفقه المالكي وأدلته: الصادق عبدالرحمن الغرياني: د ط، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٦. المغني: ابن قدامة الجماعيلي المقدسي (ت: ٦٢٠هـ): د ط، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- **مصادر ومراجع عامة:**

١. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: ابن عبدالبر: دط، دار قتيبة، دار الوعي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٣. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم: ت: محمد حامد الفقي: دط، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٤. دليل أخلاقيات المهنة: برنامج الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز لتأهيل وتوظيف الشباب السعودي.
٥. الرحمة في حياة الرسول: راغب السرجاني: ط ١، رابطة العالم الإسلامي، الرياض، السعودية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٦. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: دط، دار صادر،

٢٠٠٣م.

٧. مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: يوسف القرضاوي: ط: ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م.

- **بحوث ومقالات:**

١. حكم عمالة الأطفال في الفقه الإسلامي: د/ حمد عزام ومرام المواجدة: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية: العدد ٣ بتاريخ ١٤٢٩/٢٠٠٨.

٢. حول حقوق العمال في القانون الدولي: كمال سيد قادر، مجلة الحوار المتمدن، العدد: ١١٨٤ - ٢٠٠٥/٥/١.

٣. الرحمة في المجتمعات الغربية المعاصرة: أسامة أمين: مجلة المعرفة، العدد ١٨٥، تاريخ ١٤٣١/٨/١٩ الموافق لـ ٢٠١٠/٠٧/٣١.

٤. جريدة البلد العدد الصادر بتاريخ ١٢تاريخ عدد سبتمبر ٢٠١٥.

٥. جريدة عكاظ العدد الصادر بتاريخ ١٤٢٠/١/٢٧.

٦. جريدة النهار الجزائرية عدد الصادر بيتاريخ ٢٠١٥/٠٨/١٢

٧. مجلة الاسرة عدد رمضان ١٤٢٠هـ

٨. مجلة الأنباء الكويتية - ٢٨ من ذي القعدة ١٤٣٦ - ١٢ سبتمبر ٢٠١٥ - العدد: ١٤٢١٣.

٩. مجلة البنات عدد محرم ١٤٢٠هـ.

- **المواقع والروابط**

١. موسوعة ويكيبيديا .

٢. موقع مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر: http://www.islammoasser.org/ArticlePage.aspx?id=336.